الفصل السادس

أمثلة تطبيقية من الأساليب النثوية

٦-١ .

ذكرنا فيما سبق (ف ٥ - ٥ ٠) أن منحنى ن ف ص فى إنتاج أى كاتب يرتبط عادة بمراحل العمر ، فيميل إلى تسجيل قيم عالية فى الطفولة والشباب ثم يتجه إلى الانخفاض فى الكهولة . ومن ثم فإن قياس ن ف ص فى أعمال مؤلف ما بعد ترتيبها تاريخيا يكشف فى العادة عن وجود ميل إلى انخفاض قيمتها فى نتاج المراحل المتأخرة من العمر بالنسبة لنتاج المراحل المتقدمة منه .

وحين خطر لنا أن نعالج عامل العمر وأثره على تطور ن ف ص فى نتاج مؤلف ما رأينا أن نقوم بفحص الأجزاء الثلاثة من «الأيام» لطه حسين حيث الترتيب الزمنى فى تأليفها وترتيب نشرها مقطوع به [1] . وقد اخترنا للدراسة عينة عشوائية تتكون من ٣٠٠ جملة وزعت على الأجزاء الثلاثة بواقع ١٠٠ جملة لكل جزء . وتحققت عشوائية العينة باختيارها على النحو التالى :

---

(١) نشر الجزء الأول من الأيام مسلسلا فى «الهلال» من ١٩٢٦/٢/١ إلى ١٩٢٦/٧/١ . أما الجزء الثالث فقد نشر مسلسلا فى «آخر ساعة» من ١٩٥٥/٣/٣٠ إلى ١٩٥٥/٦/٢٩ أسبوعيا .

يتكون الجزء الواحد من ٢٠ فصلا . وباختيار الجمل الخمس الأولى من كل فصل أصبح مجموع الجمل المختارة للجزء الواحد ١٠٠ جملة ، وللأجزاء الثلاثة ٣٠٠ جملة .

وبحساب ن ف ص فى الأجزاء الثلاثة ، وبالطريقة التى أسلفنا شرحها (ف ٥ - ٣) حصلنا على النتائج الآتية :

الجزء الأول : ن ف ص = ٤ر٦

الجزء الثانى : ن ف ص = ٣ر٨

الجزء الثالث : ن ف ص = ٣ر٤

وتشير هذه النتائج إلى أن قيمة ن ف ص تتناقص تناقصا تدريجيا فى الأجزاء الثلاثة على الترتيب ، وإلى تقارب قيمة ن ف ص فى الجزءين الثانى والثالث بحيث لا يتجاوز الفرق بينهما ٤ر٠ مما يشير إلى احتمال وصولها فى أواخر العمر إلى معدل أكثر استقرارا . وأما الفارق ما بين الجزء الأول والجزء الثانى فهو أكثر وضوحا (٨ر٠) ، وما بين الجزء الأول والثالث ٢ر١ . وهكذا يبدو أن الفرض الذى سقناه يمكن فى ضوء النتائج الاحصائية أن يكون صحيحا .

٦-٢ .

ونحن نتوقع من السيرة الذاتية باعتبارها جنسا أدبيا قوامه القص والسرد الشخصى والحديث عن الذكريات والمواقف المؤثرة على الكاتب منذ طفولته الباكرة إلى أن استوى كهلا مجربا - أن تتميز باتجاه ن ف ص فيها نحو الارتفاع النسبى فى مقابل النصوص التى يكتبها الكاتب ليعالج بها قضية علمية أو اجتماعية .

ولقد برهن حسابنا لقيمة ن ف ص فى كتاب آخر من كتب طه حسين هو «مستقبل الثقافة فى مصر» على صحة هذا الفرض إذا ما قورنت بقيمة ن ف ص فى «الأيام» . والفارق بين الموضوعين واضح ، فعلى حين ينتمى «الأيام» إلى فن السيرة الذاتية يتناول الكتاب الثانى آراء طه حسين فى نظام التعليم ، وطرق اصلاحه فى مصر ، وتحديد الانتماء الثقافى لها .

وقد اخترنا للمقارنة ٣٠٠ جملة من الكتاب الثانى موزعة على فصوله الثلاثين بواقع ١٠ جمل للفصل . وكانت الجمل المختارة هى العشر الأولى من كل فصل .

وبحساب ن ف ص فى الكتاب خرجنا بأن قيمتها تبلغ (٠ر٢) . وهذه النتيجة ظاهرة الدلالة على أن للموضوع The Theme أثرا على قيمة ن ف ص حتى فى أسلوب الكاتب الواحد ، فبينما بلغت قيمتها فى الجزء الأول من الأيام (٦ و ٤) ، (انظر ٦ - ١ ٠) نجدها فى «مستقبل الثقافة فى مصر» لم تتجاوز (٠ و ٢) بفارق وصل إلى (٦ و ٢) وهذا الفارق الكبير نسبيا يقل تدريجيا ليصبح (٨ر١) بين مستقبل الثقافة والجزء الثانى من الأيام ، ومن ثم يكون هذا دليلا جديدا على أن فرضية بوزيمان الأولى القائلة بثبات هذه النسبة عند المنشىء بقطع النظر عن الموضوع الذى يتناوله تبدو غير صحيحة .

جانب آخر يختلف فيه أسلوب «الأيام» عن «أسلوب مستقبل الثقافة فى مصر» وهو مدى ن ف ص The Range .

ونعنى بالمدى هنا الفرق بين أعلى قيمة سجلتها ن ف ص فى العمل الأدبى وبين أقل قيمة وصلت إليها .

ويتم حساب المدى بطرح أقل قيمة من أعلى قيمة . وهذا المدى قد يختلف من منشىء إلى آخر ومن عمل أدبى إلى آخر ، وهو اختلاف له دلالته أيضا .

وبحساب المدى فى «الأيام» سنجد أن أعلى قيمة سجلتها ن ف ص كانت فى لفصل الثالث عشر من الجزء الثالث وقد بلغت (١٧ر٠) ، أما أقل قيمة لها فقد سجلتها العينة المأخوذة من الفصل الأول فى الجزء الأول وكانت (١ر٠) . وبالطرح ينتج أن :

مدى ن ف ص فى «الأيام» = ١٧ر٠ - ١ر٠ = ١٦ر٩ .

وبحساب المدى فى «مستقبل الثقافة» وجد أن أعلى قيمة سجلتها ن ف ص كانت فى الفصل السابع والعشرين (٥ر٤) وأقل قيمة لها كانت فى الفصل الثالث (١ر١) . وعلى ذلك ينتج أن :

مدى ن ف ص فى «مستقبل الثقافة» = ٥ر٤ - ١ر١ = ٤ر٣ .

هذه النتيجة تؤكد فى رأينا مرة أخرى أثر الموضوع على ن ف ص وعلى مدى ن ف ص فى نفس الوقت ، حيث موضوعات «الأيام» بحكم كونها ذكريات ومذكرات أكثر تنوعا وتشعبا من موضوع «مستقبل الثقافة» وهكذا يرتبط المدى وتنوع النسبة بتنوع الموضوعات .

٣-٦ .

على أننا إذا انتقلنا بالسيرة الذاتية من طه حسين إلى كاتب آخر ذى أسلوب متميز هو عباس محمود العقاد فى كتابه «حياة قلم» ، وجدنا نمطا مختلفا من الكتابة يكاد يجمع القراء على أنه يتسم بالذهنية والصعوبة النسبية إذا ماقورن بأسلوب طه حسين.

والحق أن حساب ن ف ص فى الكتابين يقودنا إلى فروق ذات دلالة . ولتحقيق المقارنة قمنا باختيار عينة عشوائية من «حياة قلم» تتكون من ٣٠٠ جملة . وقد اشتمل فهرس الكتاب على ثلاثة عشر فصلا اخترنا من كل منها أول ثلاث وعشرين جملة باستثناء الفصل الأخير الذى اخترنا منه أربعا وعشرين جملة .

وبحساب قيمة ن ف ص فى كتاب العقاد من العينات المذكورة وجدناها تبلغ (٨ر١) .

أما المدى فى كتاب العقاد فقد بلغ (٣ر٣) ، وذلك نتيجة حساب الفرق بين أعلى قيمة وهى ٤ر٤ (وقد سجلتها ن ف ص فى الفصل المعنون «ذكريات وشخصيات») وبين أقل قيمة وهى ١ر١ (وقد سجلتها ن ف ص فى الفصل المعنون «دين وفلسفة») .

ولتسهيل المقارنة نضع نتائجها فى الصور الآتية :

جدول (١)

الكتاب	قيمة ن ف ص	المدى
الأيام	٣ر٩ *	١ر١٦
حياة قلم	١ر٨	٣ر٣

ونعتقد أن الأرقام المتضمنة فى الجدول (١) ظاهرة الدلالة على أمور :

أولها : أن أسلوب «الأيام» أقرب إلى الطابع الأدبى والانفعالى على حين يبدو الطابع الذهنى العقلانى أكثر ظهورا فى أسلوب «حياة قلم» .

ثانيا : أن أسلوب الأيام أكثر حساسية واستجابة لتنوع الموضوع كما يتضح فى حساب المدى ، على حين تبدو شخصية العقاد هى المسيطرة على أسلوبه مما يضعف أثر الموضوع على قيمة ن ف ص فى كتابته . .

(*) هذا الرقم هو متوسط قيمة ن ف ص فى الاجزاء الثلاثة كما ذكرناه فى ف ٦ - ١ . من هذا الكتاب .

ثالثا : أنه على الرغم مما قررناه فى شأن كتابة العقاد من ضعف أثر الموضوع على أسلوبه فإننا نجد أن هذا الأثر لم يختف اختفاء تاما . ويكفى فى هذا الصدد أن نلحظ أن أعلى قيمة سجلتها ن ف ص فى «حياة قلم» كانت فى فصل بعنوان «ذكريات وشخصيات» وأن أقل قيمة لها كانت فى فصل بعنوان «دين وفلسفة» كما ذكرنا ، ونعتقد أن مجرد المقارنة بين العنوانين يوحى بأثر الموضوع على تغير قيمة ن ف ص .

رابعا : اننا نتوقع فى ضوء هذه الأرقام أن تمثل دلالة ن ف ص خاصية من الخصائص الأساسية التى يمكن أن نميز بها بين أسلوب العقاد من أسلوب طه حسين . وأنها تصلح مؤشرا لتشخيص أسلوبى الكاتبين من حيث درجة الموضوعية ، وخاصيتا الانفعالية والذهنية ، وكذلك من حيث السهولة والصعوبة [٢] . ثم إن هناك فرقا جوهريا بين الأسلوبين ينعكس على نسبة الافعال إلى الصفات فيهما ، ذلك أن أسلوب العقاد فى كتابته أسلوب كتابى خالص ، أما أسلوب طه حسين فيقع وسطا ما بين أسلوب الحديث وأسلوب الكتابة نظرا لأن جميع كتبه مملاة بطبيعة الحال . ولقد ذكرنا من قبل أن لغة الحديث تتميز بارتفاع قيمة ن ف ص فيها على لغة الكتابة . وقد التفت العقاد إلى هذه الخاصية فى أسلوب طه حسين ، وميزها ببصيرته النفاذة ، ونعنى بهذه الخاصية وقوع أسلوبه وسطا بين لغة الحديث ولغة الكتابة ، فقال عنه : «إنه يكتب ولا ينسى أنه يتحدث ، ويتحدث ولا ينسى أنه يكتب» [٣] . وهذا دليل آخر على حساسية المقياس ودقته .

---

(٢) ثمة مقاييس خاصة لقياس درجة صعوبة الأسلوب . وقد استخدمنا واحدا منها فى بحث لنا بعنوان : «قياس خاصية تنوع المفردات فى الأسلوب : دراسة لنماذج من كتابات الرافعى والعقاد وطه حسين» حولية كلية الآداب ، جامعة الملك عبدالعزيز ، مج ١ ، ١٩٨١ ، ص ص ١٤٩ - ١٦٩ .

(٣) العقاد : حياة قلم ، القاهرة ، مكتبة غريب ، بدون تاريخ ص ٢٤١ .

٦-٤ .

وإذا افترضنا أن النصوص التى اتخذناها موضوعا للمقارنة من «الأيام» و «مستقبل الثقافة فى مصر» و «حياة قلم» تنتمى إلى الأسلوب الأدبى بدرجات متفاوتة ، فإن النثر الصحفى فى عصرنا الحاضر بشكل أحد الاستعمالات المتميزة للغة العربية المعاصرة ، كما أنه يختلف من وجوه كثيرة عن النثر الذى كان سائدا فى الصحافة العربية فى أواخر القرن التاسع وأوائل العشرين .

ونعتقد أن حساب قيمة ن ف ص فى لغة الصحافة يمكن أن يمدنا بمؤشرات هامة فى مجال تشخيص الأساليب الصحفية سواء درست دراسة ديناميكية أو استاتيكية[٤]. والفرضية التى تبدو لى صحيحة فى هذا المجال أن لغة الصحافة اليوم تتميز باتجاه واضح نحو زيادة استعمال الصفات على الأفعال وهى تتميز بالتالى بانخفاض قيمة ن ف ص إذا ما قورنت بصحافة الأمس .

ونظرا لأن المادة المتاحة لنا أثناء تأليفنا لهذا الكتاب لم تمكنا من دراسة هذا الجانب دراسة مستوعبة فسنكتفى باختيار الجانب الثانى من الفرض وهو الخاص بلغة الصحافة المعاصرة . وقد قمنا بحساب قيمة ن ف ص فى أخبار الصفحة الأولى من جريدة «الندوة» السعودية (بتاريخ ٦/٣/١٤٠٠ هـ - ٢٤/١/١٩٨٠ م) ، وجريدة «الشرق الأوسط (بتاريخ ٨/٣/١٤٠٠ هـ - ٢٦/١/١٩٨٠ م) ، وكانت النتائج على النحو التالى :

جريدة «الندوة» : ن ف ص = ٧ر٠

جريدة «الشرق الأوسط : ن ف ص = ٧ر٠

---

(٤) انظر ف ٣ - ٥ من هذا الكتاب .

مقال المحرر فى «الندوة» : ن ف ص = ٦ر.

مقال المحرر فى «الشرق الأوسط» : ن ف ص = ٨و.

وفى ضوء هذه النتائج يمكن تسجيل الملاحظين الآتيتين :

١- انخفاض قيمة ن ف ص فى الأسلوب الصحفى بالنسبة لغيره من الأساليب الأدبية.

٢- تجانس الأسلوب الصحفى فى الصحف السعودية (وربما العربية) من حيث هذه الخاصية .

أما دراسة تطور الأسلوب الصحفى تاريخيا فأمر نرجو أن يتاح المجازه لنا أو لغيرنا من الباحثين . وهو مجال جدير بأن تنصرف إليه البحوث اللغوية والأسلوبية الجادة .